جمهورية العراق
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعه بابل/كلية التربية للعلوم الانسانية
قسم اللغة العربية

التجديد في قصائد المدح والوصف للبحتري

بحث تقدمت به الطالبة(زينب نجم عبيد عيسى)
وهو جزء من متطلبات نيل درجة البكالوريوس في اللغة العربية

إشراف
د. انصاف سلمان علوان

١٤٤٤هـ ٢٠٢٣م

بسم الله الرحمن الرحيم

((وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَاناً نَصِيراً))

صدق الله العظيم

سورة الاسراء:اية٨٠

الإهداء

الى من ليس لي حياه الا بداعها
ومن تسمو روحي فرحا برضاها امي الغالية.....

الى من افنى العمره اللي راحتي
ومن افاض الدمع لفرحتي ابي العزيز .....

الى احبه اناروا الدرب لخواتي اخواني .....

الى الشموع التي احترقت كي
تضيء لي الطريق العلم استاذتي .....

الى من واكبوا معي طريق
سنين العمر باخلاص أصدقائي .....

شكر وتقدير

اتقدم بوافر شكري وتقديري الئ اساتذه جامعه
بابل ونخص بالذكر منهم
الدكتوره انصاف سلمان علوان
الذي لم تبخل علينا بتوجيهاتها ونصائحها القيمه
التي كانت عوناً لنا في اتمام هذا البحث داعياً
المولى عزه وجل ان يتمم عليها بالصحه
والموفقية

المحتويات

الموضوع	الصفحة
الآية	أ
الإهداء	ب
الشكر والتقدير	ج
المحتويات	د
المقدمة	١
التمهيد	٢-١٠
المبحث الاول **الوصف والمديح في شعر البحتري**	١١-٢١
المبحث الثاني **التجديد المضموني في قصائد المدح والوصف للبحتري**	٢٢-٣١
الخاتمة	٣٢
المصادر	٣٣-٣٥

المقدمة

الحمد لله الذي أعز الإنسان بالعقل، وجمله بالعلم، فعلَّمه مالا يعلم، والصلاة والسلام على أشرف الخلق محمد بن عبد الله، وعلى آله وصحبه أجمعين:

حاز موضوع التجديد على اهتمام الدارسين المحدثين، وذلك لأنها يرتبط بنواحي الحياة المختلفة للإنسان، ولجوء الشعراء إلى توظيفه لابد أن يحمل في طياته ارتباطات اجتماعية وثقافية ونفسية وفكرية ، حتى وقع اختياري على الشاعر البحتري بعد الاطلاع على شعره ، إذ برز فيه عنصر اللون بصورة جلية، وقد جاءت هذه الدراسة" بالتجديد في شعر البحتري"، لتبرز عنصر الجدة في شعره، ولذلك فإن أهميتها تتمثل بجديتها في دراسة الطبيعة في شعر البحتري.

استغرق المدح معظم شعر البحتري، لكن ثمة أغراضاً شعرية أخرى نجدها مبثوثة، هنا وهناك، في تضاعيف شعره الذي بلغ الألوف من الأبيات، وهي تتمحور حول الغزل والرثاء والشكوى والرثاء والعتاب، والهجاء. وهذا الفن الشعري الأخير، أي الهجاء، مقذع للغاية، لذا قيل في البحتري إنه وسخ الآلة، وقد هجا عدداً منن الكتاب والوزراء وأصحاب الدواوين

نجد في شعر البحتري، ما يعطي صورة للعصر الذي كان فيه الشاعر، على الصعيد السياسي خاصة، إذ ثمة العديد من القصائد المدحية التي صور فيها الشاعر نزاع الأخ، في خلفاء بني العباس، وأخيه، ونزاع الأب، فيهم أيضاً، وبنيه، وفي العديد من قضائده المدحية إشارة إلى حروب الجهاد في بلاد الروم، وإلى بعض الثورات التي شهدها العصر.

التمهيد:

اولا:حياة البحتري

اسمه :

هو أبو عبادة، وقد يكنى بأبي الوليد، وأبي الحسن، والأشهر تزال، الوليد بن عبيد بن يحيى بن شملال بن جابر بن بحتر الطائي [١]

ولادته :

ولد البحتري بمنبج من اعمال حلب في سوريا سنة (٨٢١م)[٢]

نسبه وبيئته :

هو طائي النسب أباً، الشيباني النسب لجهة الأم، من صميم العرب أماً وأباً. ، وعاش في بيئة هي أقرب إلى البداوة منها إلى الحضارة، وإن تردد بين الحين والآخر على كل من حمص، وحلب، وغيرهما من المدن والحواضر الشمالية من بلاد الشام، ما طبع مطابع البدوي في الأصل، بلون حضري ممتاز. [٣]

اتصاله بأبي تمام :

وقد اتصل البحتري وهو في مقتبل شبابه، بشاعر فحل من شعراء الشام، عربي النجار، ومن صميم طي أيضاً للبحتري، أستاذاً ودليلاً ومثالاً يحتذى في الكثير من جوانب ومناحي وأغراض الشعر الغنائي، المدح خاصة. هذا الشاعر الفحل هو أبو تمام حبيب بن أوس الطائي. [٤]

نشأته :

ولما شب البحتري، وصلب عوده، وأحس بنفسه القوة على أن يكون شاعر البلاط ما هم، بلاط أمير، أو قائد، أو وزير، أو ملك، وخليفة، يمم وجهه شطر العراق، فأقام في بغداد حيناً وفي سامراء حيناً آخر، يمدح هذا وذاك، من الأفراد، وهؤلاء وأولئك، من الأقوام،

---

(١) أبن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي (ت ٥٩٧ هـ/ ١٢٠٠م)، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، مطبعة دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الدكن، د.ت ، ص١٢٣.

(٢) المصدر نفسه، ص١٢٤.

(٣) المصدر نفسه،ص١٢٥.

(٤) الجمحي، محمد بن سلام(ت ٢٣١ هـ/ ٨٤٤م)، طبقات فحول الشعراء، شرح محمود محمد شاكر، القاهرة، د.ت، ص٢٤٤.

شأن العديد من شعراء العصر، تحقيقاً للشهرة والمال، وطمعاً في الحظوة والمكانة، وكان في مدحه أقرب إلى التقليد، ومحاكاة القدامى لجهة استهلال القصيدة بالغزل والاطلال، منه إلى الابتكار والتجديد. (١)

يقال لشعره قلادات الذهب، وهو أحد الثلاثة الذين كانوا من أهم شعراء عصرهم، المتنبي و أبو تمام و البحتري، قيل لأبي العلاء المعري: أي الثلاثة أشعر؟فقال المتنبي و أبو تمام حكيمان وإنما الشاعر البحتري.

ولدفي منبج إلى الشمال الشرقي من حلب في سوريا. بدأ يقرأه الشعر منذ صغره. ذهب إلى حمص وتتلمذ على يد أبي تمام. كان شاعراً في بلاط الخلفاء: المتوكل والمستنصر والمستعين والمعتز بن المتوكل، وكان له علاقات جيدة مع كافة الأمراء والولاة في الدولة العباسية. تعرف على السيرة الذاتية الإنجازات والحكم والأقوال وكل المعلومات التي تحتاجها عن البحتري.تتلمذ على يد أبي تمام وأخذ عنه طريقته في المديح ثم أقام في حلب وتعلم هناك ملكة البلاغة والشعر، ثم تنقل بين في سورية وغيرها، كانت المنطقة تعيش حالة توتر وعدم استقرار، وكانت الخلافة ضعيفة لاستيلاء الأتراك على زمام الأمور.ذهب البحتري عدة مرات إلى بغداد، واتصل بالمتوكل وأصبح شاعر البلاط وصديق المتوكل، كان يمدح المتوكل في قصائده ويتكسب من الشعر.أقام في حلب وتعلم هناك ملكة البلاغة والشعر، وأحب هناك علوة المغنية الحلبية التي ذكرها في قصائده. ثم تنقل بين المناطق السورية وغيرها. معنى كلمة البحتري في اللغة العربية قصير القامة.غالباً ما يتم الإشادة بالبحتري لأسلوبه الطبيعي، الذي يتناقض مع أسلوب أبو تمام الذي يصفع النقاد بأنه المصطنع الخطابي وهو أحد الثلاثة الذين كانوا أشعر أبناء عصرهم، المتنبي وأبو تمام والبحتري، قيل لأبي العلاء المعري: أي الثلاثة أشعر؟فقال المتنبي وأبو تمام حكيمان وإنما الشاعر البحتري.(٢)

---

(١) ابن رشيق،أبو علي الحسن القيرواني(ت٤٥٦هـ/١٠٦٤م)، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، ط٤، دار الجيل، بيروت،١٩٧٢ ، ص٣١٧.

(٢) أبن سعد، محمد بن سعيد بن منيع الزهري(ت٢٣٠هـ/٨٤٥م)، الطبقات الكبرى، دار صادر، بيروت ، ص٢٨٤.

ثانيا : التجديد لغةً واصطلاحاً

التجديد لغة

مأخوذ من جدَّد الشيءَ، وتجدَّد الشيءُ، إذا صيَّره جديداً أو صار جديداً.

والتجديد فيه طلب واستدعاء، إذ التاء للطلب، فيكون تجديد الشيءِ يعني طلب جِدَّتِه بالسعي والتوسّل إلى ما يجعله جديداً. والجديد نقيض الخَلَق والبِلى، وضدّ القديم بمعنييه . القديم زماناً، والقديم بقاءً، وهو التقادم .، فيُقال: بلي بيت فلان ثمّ أجَدَّ بيتاً مِنْ شَعْر.. ويُقال لليل والنهار: الجديدان، لأنهما لا يبليان أبداً.

ومن معاني التجديد في أصل اللُّغة: التعظيم والإجلال، ومنه قوله تعالى: {وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا}(١)، أي عظمته وجلاله وغناه. ومن معانيه كذلك الوسطية، ويقولون: جادّة الطريق أي سواء الطريق ووسطه.

ومن هنا ندرك أنَّ التجديد لا يعني بحال الإتيان بجديد منقطع عما كان عليه الأمر أولاً، ولكن يعني:

- أنَّ الشيء المجدَّد قد كان في أول الأمر موجوداً وقائماً، وللناس به عهد.
- وأنَّ هذا الشيء أتت عليه الأيام، فأصابه البِلَى وصار قديماً خَلِقاً.
- وأنَّ ذلك الشيء قد أُعيد إلى مثل الحالة الأولى التي كان عليها قبل أنْ يبلى وَيَخْلَق (٢).

ولهذا يقولون: جدَّد بيته، أي: رمَّمه، وأعاد طلاءه، وأحكم إثبات النوافذ، وغيّر مظهره، الذي بدا فيه التقادم وبان عليه التصدّع، ولا يعني تجديد البيت هدَّه من الأساس وإعادة بنائه طوبة طوبة.

---

(١) سورة الجن، الآية (٣).

(٢) انظر: بسطامي محمد سعيد: مفهوم تجديد الدِّين، دار الدعوة، الكويت، ط/١، ١٤٠٥هـ، ١٩٨٤م، ص ١٤-١٥.

والجدَّة هي مصدر الجديد والجمع أَجِدّة وجُدُد. وقد جاء في لسان العرب: " الجدّة هي نقيض البلى، ويقال شيء جديد، وتجدد الشيء صار جديداً وهو نقيض الخلق، وجدّ الثوب يجِدُّ (بالكسر) صار جديداً، والجديد ما لا عهد لك به"[١].

مما تقدم نجد أن التجديد يعني إعادة ترميم الشيء البالي (نقيض البالي)، وليس خلق شيء لم يكن موجوداً (نقيض الخلق) وبهذا المعنى فإن التجديد في مجال الفكر أو في مجال الأشياء على السواء هو أن تعيد الفكرة أو الشيء الذي بلي أو قدم أو تراكمت عليه من السمات والمظاهر ما طمس جوهره، وان تعيده إلى حالته الأولى يوم كان أول مرة، فتجدد الشيء أن تعيده (جديداً) وكذلك الفكر[٢].

وعليه فإن اختيار كلمة (التجديد) لاستخدامها على ما نحن فيه في موضوع التجديد في الفكر والأسلوب والقراءة للنص المقدس يأتي منطبقاً على المطلب، حيث إن الإمام لم يكن ليدعي انه اختلق فكراً جديداً أو طرح أيديولوجية أو عقيدة جديدة، بل هو نفض الغبار عن شيء بالٍ هو الأحكام الإسلامية (لا من حيث هي هي، بل من حيث حضورها وتجسدها وتداولها بين الفقهاء، والسياسيين والناس عموماً) وهو استخرج ما كان محجوراً عليه من أحكام ونظريات وأفكار في بطون الكتب ورفوف المكتبات، ليعيده إلى طاولة الدرس والبحث ثم إلى عقول الرأي العام، وليصل فيه إلى التجسيد العملي عبر إقامة حكم اسلامي يعتمد النص المقدس والتفسير المتجدد والتحديث في الأسلوب والخطاب. ولأن من شروط البحث العلمي تحليل مفاهيم المصطلحات المحورية في البحث، فإننا نورد هنا بعضاً مما توصلنا إليه في استخدام هذا المصطلح ودلالاته، فإن ما يورده برهان غليون حول مفهوم التجديد بأنه يجب أن يرتبط، كما هو بالفعل، بمفهوم الإبداع الفكري، أي بما يسمح لمنظومة فكرية أن تستعيد فاعليتها وقدرتها على الانتاج المبدع للمعاني الجديدة أو المتجددة [٣]، يتفق مع ما نهدف إليه في تفسير حركة التجديد عن الإمام، ولرفع اللبس الذي قد يقع في طرح موضوع التجديد للفكر الإسلامي وتداخل الأمر مع موضوع سماوية الأديان، ومع وجود صفة الجزم والتأكيد والأبدية للقرآن

١- ابن منظور ـ لسان العرب، طبعة دار المعارف، مصر، ج١، ص٥٦٢ ـ ٥٦٣.

٢- برهان غليون، الاجتهاد والتجديد في الفكر الإسلامي المعاصر، مركز دراسات العالم الإسلامي، مالطا، ط١، ١٩٩١، ص٧٢.

٣- برهان غليون، الاجتهاد والتجديد في الفكر الإسلامي المعاصر، مصدر سابق، ص٧٤.

ويوضّح أكثر هذا المعنى قول أحد المصلين: جدّدت وضوئي، وهو لا يريد بذلك الوضوء من جديد بعد انتقاضه، فهذا لا يُسمَّى تجديداً، وإنما يريد بتجديده إعادة جدته كسباً لأثره في المصلِّي، تزويداً له بالنشاط للأداء المتقن الخاشع بسببه.

وكذلك قولك لأحد المتعاهدين: جدّدْ العهد، فهو لا يعني أنْ عهدك قد انتقض، بقدر ما يعنون أنه تقادَمَ إلى درجة أوشك معه المتعاهدون يتخلون عن ملزماته ويتساهلون في التزام بنوده.

فالتجديد . إذاً . لا يستلزم إقامة شيء جديد على أنقاض القديم، ولا يعني رفض القديم كله بحسبان نفود صلاحه، وأنه صار سلباً غير نافع يجب إلغاؤه والإتيان بجديد مغاير منقطع عنه أصلاً ووصفاً.

ولكن حقيقة ما يعنيه التجديد هو إعادة الأمر إلى ما كان عليه أولاً، وهو نوع من الإجلال لذلك الأمر وتعظيم له، على خلاف ما يعتقده كثير من سامعي هذا المصطلح ومطلقيه.

وككتاب سماوي ختم الوحي بالرسالة المحمدية، يتساءل الدكتور حسن الترابي عن التجديد فيقول: الفكر الإسلامي هل يتجدد؟ أليس الدين هدياً أزلياً خالداً لا مكان فيه للتجديد؟

ويجيب: " بلى، الذي يتجدد ويبلى إنما هو الفكر الإسلامي والفكر الإسلامي إنما هو التفاعل بين عقل المسلمين وأحكام الدين الأزلية الخالدة، أما عقل الجيل من المسلمين الذي يضطلع بالتفكير في الإسلام فهو يتكيف بنوع وكمية المعارف العقلية والتجارب التي يحصلها في كل زمان، إذا ضاقت هذه المعارف ضاق وإذا اتسعت اتسع. وانه يتكيف وينفعل بالظروف الراهنة التي تحيط به، وبالحاجبات التي يحسها الناس وبالوسائل التي تتبعها له ظروف الحياة.

فالفكر الإسلامي هو التفاعل بين عقلنا المتكيف بهذه العلوم، المنفعل بهذه الظروف مع الهدي الأزلي الخالد الذي يتضمن الوحي والذي بيّنه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم"[١]. إما د. علي شريعتي فأجاب عن الإشكالية المطروحة بتعبير آخر حيث قال: " حيث لا إصلاح ديني في الإسلام بمعنى إعادة النظر في الدين، بل إعادة النظر في رؤيتنا وفهمنا الديني والعودة إلى الإسلام الحقيقي والوقوف على الروح الحقيقية للإسلام الأول [٢].

١- حسن الترابي، الفكر الإسلامي، هل يتجدد؟ ، مكتبة الجديد، تونس، ص٢٣.

٢- علي شريعتي، الأمة والإمامة، مؤسسة الكتاب الثقافية، طهران، ص٩.

وكذا كل المفكرين المجددين في الإسلام أمثال الدكتور إقبال والسيد جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده ومرتضى المطهري أجمعوا على أن منهجية التجديد في الفكر الإسلامي لا تطال الدين أو الشريعة المقدسة التي هي وحي رباني أنزل على الرسول محمد صلى الله عليه وآله وسلم، وهي متجسدة في النص المقدس الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، والذي لا يجوز أن يضاف إليه شيء أو ينتقص منه شيء. فالزيادة في الدين حرام لأنها غلوّ والغلوّ حرام، وقد استشهد بعضهم بما جرى في العالم المسيحي حيث كان الغلو في الدين سبباً مباشراً لانتهاء سيطرة الكنيسة وتحول الناس إلى الإلحاد، وحين تراجعت الكنيسة تحت ضغط الظروف عن إضافاتها اللامعقولة إلى الدين، عاد العالم الغربي إلى المسيحية [1]. إذاً فالتجديد المعقول هو التجديد في الفكر الإسلامي وليس في الدين (كنص مقدس) وهو تجديد لإحياء الدين، وإعمار الأرض بتجسيد تعاليم الدين.

١- محمد تقي المدرسي، المنطق الإسلامي، أصوله ومناهجه، دار الجبل، بيروت، ط٢، ١٩٨١م.

اصطلاحا

ما تقرَّر من أصل التجديد ووضعه اللُّغوي، وما أوضحناه من مراده استلزاماً لمفهومه الوضعي؛ ما تقرَّر هناك: هو ما استصحبه العلماء حين اصطلحوا للتجديد، كلفظ شرعي ورد في نصوص الشارع الحكيم، وفي قول رسوله الأمين ﷺ.

فيقول العلقمي في معنى التجديد: "معنى التجديد إحياء ما اندرس من العمل بالكتاب والسُّنَّة والأمر بمقتضاهما، وإماتة ما ظهر من البدع والمحدثات"(١).

وقيل معناه: "تبيين السُّنَّة من البدعة، وإكثار العلم ونصرة أهله وكسر أهل البدعة"(٢).

قال الحاكم: "سمعت أبا الوليد حسان بن محمد الفقيه يقول غير مرة: سمعت شيخاً من أهل العلم يقول لأبي العباس بن سريج: أبشر أيها القاضي! فإنَّ الله مَنَّ على المسلمين بعمر بن عبد العزيز على رأس المائة، فأظهر كل سُنَّة وأمات كل بدعة".

ولعل من البدع التي سار عليها خلفاء بني امية سب الامام علي (ع) على المنابر ولما كان عهد عمر بن عبد العزيز قد رفع هذا بل عاقب عليه فهدمت البدعة في عهده (٥)

ومعنى التجديد الاصطلاحي يظهر أكثر بتعريف أبي الأعلى المودودي . إذ يرى أنَّ المجدِّد هو: "كل من أحيا معالم الدِّين بعد طموسها، وجدَّد حبله بعد انتقاضه..(٣).

فيكون التجديد: إحياء معالم الدِّين بعد طموسها، وتجديد حبله بعد انتقاضه.

والطموس لم يكن للدِّين، وإنما كان لمعالمه، ولا يريد بالطموس انتهاءه بالكلية من قلوب الناس وحياتهم، ولكن أراد به عدم ظهوره في جوانبه كلها. كما أنه قال : لم يُلصِقْ الانتقاض بالدين، بل ألصقه بحبل الدِّين، وحبل الدِّين وسيلة التمسك به، من شعائر، ومشاعر، ونُسُك، وارتباط الوجدان بالمشاهدة، والمراقبة، والصدق، والتوكل، واستمساك العروة الوثقى، توجهاً بالنفس، وتوجيهاً بالدعوة.

فالتجديد في مراد العلماء . إذاً . يصدق في أمور:

أولها: إحياء ما اندرس من العلم والعمل.

وثانيها: الأمر بمقتضى الكتاب والسُّنَّة عند غياب الأمر بهما أو التساهل في الاستمساك بمقتضاهما.

وثالثها: تبيين السُّنَّة وتمييزها عن البدعة إذا اختلطتا وتمازجتا، فلو لم يقوَ الناس أو

---

(١) الآبادي: عون المعبود شرح سنن أبي داود، دار الفكر، ١٩٧٩م، ٣٩١/١١.

(٢) المصدر نفسه، ٣٦١/١١.

(٣) أبو الأعلى المودودي: موجز تاريخ تجديد الدِّين، ترجمه إلى العربية محمد كاظم سباق، دار الفكر، ط/٣، ١٣٨٧هـ ـ ١٩٦٨م.

يقتدروا على التمييز بينهما لتمكَّن الجهل وتفشَّت الشُّبهة.

ورابعها: إماتة ما ظهر من البدع والمحدثات، بنشر العلم والدعوة به وإكثاره، ونصرة أهله، وكسر أهل البدع والمحدِثين.

وخامسها: إحياء معالم الدِّين بعد ما أصابها الطموس، بعوامل القسوة وطول الأمد، كما أصيب أهل الكتاب منهما، وقد أخبر الله عنهم في قوله تعالى: {أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ}(١).

وسادسها: ربط حبل الدِّين وتوثيقه في وسائله ووسائطه التعبدية والخلقية والوجدانية، إذا أوشك أنْ ينتقض، استمساكاً بعروة الدِّين الوثقى، وحفاظاً على أسبابه المثلى، التزاماً وثباتاً.

وذلك كله مقصود المصطفى ﷺ، حين يطلب على حرص النبوة إصلاح الذات، وتنقية القلب، وتزكية النفس من رواسب طول الأمد، وتراخي الرباط الإيماني في قوله ﷺ: (جَدِّدُوا إِيمَانَكُمْ) قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! وَكَيْفَ نُجَدِّدُ إِيمَانَنَا؟ قَالَ: (أَكْثِرُوا مِنْ قَوْلِ لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ)(٢).

ولعله المراد من جهود الطائفة القائمة على الحق للاستمساك بعروة الدِّين الوثقى، وإبقاء شعائره وشرائعه صافية نقية دون تغبّر أو تغيّر بجهود الطائفة الظاهرة بالحق على الحق كما في حديث ثَوْبَانَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (لا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ لا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَذَلِكَ..)(٣).

---

(١) سورة الحديد، الآية (١٦).

(٢) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، مسند المكثرين برقم ٨٣٥٣، دار صادر، ٣٥٩/٢.

(٣) أخرجه البخاري، كتاب الاعتصام بالكتاب والسُّنَّة، بَاب قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: (لا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ يُقَاتِلُونَ، وَهُمْ أَهْلُ الْعِلْمِ)، ومسلم في كتاب الإمارة برقم ٣٥٤٤، والترمذي في الفتن برقم ٢١٥٥.

إن التجدد والتجديد في قضايا الفكر كما هو التغير والتغيير في قضايا الاجتماع، فكما أن المجتمع يتغير مع حركة الزمن حتى لو لم يكن هناك منهج للتغيير يبرمج ويخطط ويهندس حركة المجتمع نحو أهداف بعيدة أو قريبة جزئية أو شاملة، فكذلك الفكر تحصل فيه تجددات حتى مع غياب منهج التجديد، هذا يعني أن الفكر له حركته في النمو كما هي الحال في المجتمع، والفكر لا يتجدد بعيداً عن تجددات المجتمع والعكس صحيح.

وهكذا نصل إلى أن التجدد هو ما يطرأ على الفكر من تحولات ومتغيرات نتيجة تفاعلات بين الفكر والمجتمع، وهذه المتغيرات تفتقد إلى المنهجية والتخطيط وقد تكون على صواب أو خطأ، بينما موضوع بحثنا هو التجديد وليس التجدد (الذي قد يحصل تلقائياً ومن دون منهج). والتجديد هو الفاعلية الواعية التي يقوم بها المجتمع من أجل توجيه هذا التحول التاريخي أو استغلاله أو توجيه هذا التحول التاريخي أو استغلاله أو توظيفه لهدف أو لآخر. "إن التجديد إذا خطة واعية فردية أو جماعية لوضع هذا التجدد ضمن منظور معقول ومنسق، وبالتالي إعادة تنظيمه فكرياً ومن الداخل حتى يبقى فاعلاً"[1].

ومن مظاهر هذا التطور في الفكر ما طرأ على مفهوم الحكم أو الشريعة أو الجهاد أو الأمة أو الجماعة في ثقافتنا من تبدل في المعنى منذ بداية الإسلام حتى الآن، فمن المعروف أن كلمة الحكم كانت تعني القضاء والفصل في الأمور الدينية وغير الدينية، ومنها الحكمة والحكيم والاحتكام والتحكيم، وهي تعني اليوم الحكم السياسي والحكومة والحاكمية وغير ذلك من المعاني الجديدة. وإن الإحساس بالحاجة إلى التجديد كان ينمو داخل البلاد الإسلامية نمواً طبيعياً كرد فعل على الصدمة التي خلفها الغزو الأوربي للبلاد الإسلامية، وحال التقهقر والانحطاط التي عاشتها هذه البلاد بفعل السيطرة الاستعمارية. " إن لهذا التجديد ناحية أعظم شأناً من مجرد الملائمة مع أوضاع الحياة العصرية وأحوالها، وإن العالم الإسلامي وهو مزود بتفكير عميق نفاذ وتجارب جديدة، ينبغي عليه أن يقدم في شجاعة على إتمام التجديد الذي ينتظره"[2].

١- د. برهان غليون، الاجتهاد والتجديد في الفكر الإسلامي المعاصر، مصدر سابق، ص٧٣.

٢- محمد إقبال، تجديد التفكير الديني في الإسلام، ترجمة عباس محمود القاهرة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة، ١٩٨٦.

المبحث الاول

الوصف والمديح في شعر البحتري

الوصف في اللغة والاصطلاح

الوصف في اللغة هو:" وصَف الشيءَ له وعليه وصْفاً وصِفةً: حَلاَّها[1]

"والوصف جزء من منطق الإنسان،لأنَّ النّفس محتاجة من أصل الفطرة الى ما يكشف لها من الموجودات ويكشف للموجودات منها، ولايكون ذلك الاّ بتمثيل الحقيقة وتأديتها إلى التصوّر في الطريق السمع والبصر والفؤاد " .وقد تعرض ابن الرشيق في أثناء حديثه عن الوصف الذي قال عنه بأن أكثر الشعر يرجع إليه إلى تفاضل الناس في الوصف وإلى أهم موصوفاته أوموضوعاته على عهد المولدين فقال: " الأولى بنا في هذا الوقت صفات الخمر والقيان وما مشاكلها وما كان مناسبا لهما كالكؤوس والقنان والأباريق ،وباقات الزهر، إلى ما لابد منه من صفات الخدود والقدود و... [2]، ثم صفات الرياض والبرك والقصور وما شاكل المولدين ، فإن ارتفعت البضاعة ، فصفات الجيوش وما يتصل بها من ذكر الخيل والسيوف والرماح والدروع والعصي والنبل ، إلى نحوذلك من ذكر الطبول والبنود وليس يتسع بنا هذا الموضوع لإستقصاء ما في النفس من هذه الأوصاف " .ويشير أحمدالهاشمي في كتابه عن الوصف ،"الوصف،هوشرح حال الشيء وهيئته على هوعليه في الواقع لإحضاره في ذهن السامع كأنّه يراه أويشعربه". [3]وأيضاً يقول:"الوصف،عبارة من بيان الأمر بإستيعاب أحواله وضروب نعوته الممثلة له وأصوله ثلاثة: الأول:أن يكون الوصف حقيقياً بالموصوف مفرزاً له عمّا سواه،الثاني: أن يكون ذا طلاوة ورونق. الثالث: أن لايخرج فيه إلى حدود المبالغة والإسهاب ويكتفي بما كان مناسباً للحال وأنواعه كثيرة ولكنّها ترجع إلى قسمين :

---

(١) ابن منظور ، لسان العرب ، مادة (وصف)

(٢) خزانة الادب ولب لباب العرب ، عبدالقادر البغدادي ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، القاهرة ، ١٩٥٩م، ١:٣٨٢.

(٣) احمد الهاشمي ، الوصف ، دار العلم ، بيروت ، ١٩٩٨، ص١٢٤.

وهما وصف الأشياء ووصف الأشخاص أمّا الأشياء الحريّة بالوصف فهي كالأمكنة والحوادث ومناظر الطبيعة. أمّا وصف الأشخاص فيكون بوصف الصّورة أوبوصفهما معاً." هناك تعريف آخر عن أنواع الوصف ،"والوصف في كلّ شيء نوعان : خيالي وحسيّ . فالوصف الخيالي يعتمد التشبيه والإستعارة ويحاول أن يستحضر الموصوف من الذاكرة . أما الوصف الحسي فهوتصوير للموصوف .

ولاريب في أنّ الوصف الحسي أبلغ وأجود وأندر وأكثر صعوبة من الوصف الخيالي".

وقد عُرف الوصف منذ عُرف الشعر العربي ، وفي رأي صاحب العمدة نرى أن "الشعر إلا أقله راجعٌ إلى باب الوصف"[١] والشاعر الذي يُظهرمقدرة فنية في نقل صور موصوفه وتجليتها وتوضيحها للسَّامع يكون ذلك دليلاًعلى تفوّقه وبراعته ، ومدى دقّته ومهارته في فنّ الوصف "فأحسنُ الوصف ما نُعت الشيءُ حتى تكاد تُمثله عينًا للسامع"[٢] كما قال حنّا الفاخوري: " والوصف هوذكر أقسام الشي ء وشرح هيئته لإحضاره في ذهن السامع " فالوصف في المعجم العربي هوالتجسيد والابراز والإظهار وفي التراث النقدي العربي يقول قدامة بن جعفر في الوصف: "إنما هوذكر الشيء بما فيه من الأحوال والهيئات" [٣]

إن كل الأجناس الأدبية كالقصة والرواية والشعر لم تستغن عن الوصف.فالأدب العربي منذ القديم عرف الوصف، وشعراء الجاهلية مارسوا الوصف في نظمهم لقصائدهم سواء وصف الحبيبة أووصف الأطلال أووصف المعارك و... إلخ. قال ابن رشيق : أبلغ الوصف ما قلب السّمع بصرا والشعراء يتفاوتون في مقدار براعتهم في الوصف ، فهناك من يستطيع إجادة الوصف غير أنَّه يشتهر بوصف شيء بعينه، وذلك لعلمه به وشدة اتصاله منه . يقول الرافعي في هذا المنطلق:"وقد يُشارك في أوصافٍ كثيرة لكنه ينفرد بالشهرة في بعضها ، من جهة العلم لا من جهة الصناعة،

---

(١) العمدة ، ص١٧٦

(٢) ابن رشيق ، مصدر سابق ، ص١٨٣.

(٣) المعجم العربي، ص٣٢

فكلما كان أعلم بأجزاء الموصوف وحالاته، وأقدر على استقصاء هذا العلم في شعر، إنه أبلغ في الوصف وأولى بالتقديم "يقسم الأدباء الوصف الى قسمين :وصف الظواهر الطبيعية التي هي من خلق الله القادر المبدع ، ووصف الآثار الإنسانية التي هي من صنع الإنسان الحاذق المخترع ،ومن إخراج اليد الصّناع ، ثمّ هم يتناولون الظواهر الطبيعية فلا يجدونها متماثلة في جميع الخصائص، فيعقدون بينها موازنة تنتهي إلى تقسيمها قسمين : الظواهر المتحرّكة، وهي كل ما يجري فيه ماء الحياة وينبض بالحركة: من حيوان أليف كالناقة والفرس، والكلب والمعز والغنم، أووحش مفترس كالأسد والذئب والحشرات والهوام.(١)

والظواهر المتحركة إمّا خارجية كهذا الّذي قدمنا أمثلة له، ويسميه الغربيون الوصف الموضوعي، وإمّا داخليّة، فهي تلك التي تمثّل أحوال قاتلها، فتصف خواطر نفسه، أوخفقات قلبه، تقرّح كبده، أوتحرق فؤاده، أوهجسات وجدانه، أوهمسات شعوره، أولمحات أفكاره، أوومضات إنسانه، إلى آخرما يصوره من تلك التموجات النفسية، والإهتزازات العاطفيّة، وهوالوصف الذاتي . والظواهر الساكنة، وتنصرف إلى كلّ ما تشتمل السموات والأرض من أجرام وكواكب ، وجبال وصحاري، ووهاد ونجاد، وبحار وأنهار، وما ينشأ عن هذه وتلك من مد وجذر، وبرق ورعد، وغيث ومطر، وزلازل وبراكين، وزعازع وأعاصير " (٢).

إن الوصف أثر الطبيعة في النفس ، وتصوير فعل الظواهر في الخاطر ، فلابدّ أن يكون بلغة أرقى، أسلوب أكثر اتساقا ، وأعظم إنسجاما من سواه ، وهوالشعر" (٣)

---

(١) الرائد في الأدب العربي ، نعيم الحمصي، ط١، دار الفكر ، لبنان ، ١٩٨٧، ص٥٦٨.

(٢) العمدة في الشعر ، مصدر سابق ، ص١٢١.

(٣) المصدر نفسه، ص١٢٢

شاعر بكى الحب ورثاه، وكتب أرق القصائد وأكثرها حزناً وعذوبة، عبر عن مرحلة، قوامها الحزن والحب المحروم والصبر والوفاء، وهدفها التجديد، وقد جدد في شعره، وجاء شعره تعبيراً صادقاً عن وجدانه، مصوراً لشخصيته وحياته، وفياً لأهوائه وآرائه في الحياة والشعر، ولعله كان بهذا الشعر يعالج أدواء روحه، بينما كان بالأدوية والعلاج يداوي أدواء المرضى، وهو الطبيب المعالج.

ويعبر البحتري في معظم شعره عن نزوع فردي رومنتيكي حزين،مجسدا في ذلك الطبيعة الجامدة التي غمرت قصائده فشعره ذاتي،والتي تعامل من خلالها مع الطبيعة الجامدة لنزوعه في بعض الاحيان الى الحزن والضبابية حتى من خلال الهجاء او المديح او الرثاء او الاغراض الاخرى فيقول : ودارت بنو ساسان طرا فدارت مدار النجوم السائرات على القطب[١]

وهنا تجدر الاشارة الى ان استخدامه لمفردتي (النجوم ، القطب) هو دليل على تشبثه في الطبيعة الجامدة فالنجوم والقطب يمثلان تعاطيه ونزوعه نحو استخدام الفاظ تشير الى الطبيعة الجامدة فقوله :

اكافر منك فضل نعمى وستر نعمى الكريم كفر

وهذا تجسيد لتعاطيه مع الطبيعة ومتغيراتها ورصده لوقع الحياة اليومي واتخاذه من الحكمة في الشعر سببا للاقناع والتعبير عما يجول في خاطره ولو انتقلنا الى بيت اخر وهو يشير الى معنى ومقصد اخر بالقول :

بشيرا لكم فيها ، نذيرا لغيركم له شاهد عن موضع الفهم غائب

وهذا دليل على انه قد قدم ومن خلال مفرداته تعاملا سوداويا مع الطبيعة ومتغيراتها وما يلج في خلجاته وهو يوعظ الاخرين ويحذرهم ويبشرهم فقد جعل من نفسه في هذا الموضع بشيرا.[٢]

(١)الموازنة للامدي ، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد ، ص٣٢٢.
(٢) المصدر نفسه، ص٢٢٤.

يكاد يكون خالصاً للحب والوجدان، بل للقهر والحرمان، فهو يعبر عن حب محروم ويصدر عن رؤية متشائمة، ونظرة حزينة، وروح مكتئبة، فالأمل غائب، والياس حاضر، والدموع تنهل غزيرة، والحرمان هو السائد والشقاء هو المسيطر، ولا سيما شقاء المرأة، وهو يراها دائماً طهوراً نقية، على الرغم مما قد يحيط بها من شقاء، أو على الرغم مما تعيش فيه من انحدار وسقوط ذلك أنها نقية الروح، وإن كانت ملوثة الجسد العصري وقد يدفع التعصب للبحتري الى ان ينفي عن البحتري ذلك النقص والعوز الثقافي المتمثل : بمعرفة الفلسفة والمنطق وعلم الكلام حين قال: ((ولو اردنا اعتساف القول لوجدنا في شعره قدرا لاباس به من الفاظ الفلاسفة والمناطقة، الأمر الذي
يمكن ان يتخذ دليلا على المامه بالفلسفة والمنطق، ومن ذلك قوله:
يا ابا الفضل والذي ورث الفض ل عن الفضل حادثا وقديما
و قوله
فزعوا باسمك الصبي فعادت
حركات البكاء منه سكونا
و قوله:
رضيت منك باخلاق قد امتزجت
بالمكرمات امتزاج الروح بالبدن
فهو يذكر الحادث والقديم والحركة والسكون، وامتزاج الروح بالبدن...))[1]. ان ذكر الألفاظ الدالة على الفلسفة والمنطق ومعرفة المصطلحات الخاصة بهما لا تجعل من الشاعر عارفا بتوظيفها في تجديد المعاني واستحضارها، فالعلم بالشيء لا يعني ان الشاعر متمكن منه في استعماله وتوظيفه والافادة منه، وهناك امران يدلان على ان البحتري لم يستعمل الفلسفة والمنطق في شعره، أولهما ان الشاعر قد اعترف صراحة عندما قال ابياته المعروفة: [2]

كلفتمونا حدود منطقكم
والشعر يغني عن صدقه كذبه
فلم يكن ذو القروح يلهج بال
منطق ما نوعه وما سببه

والشعر لمح تكفي اشاراته
وليس بالهدر طولت خطبه
فالبحتري في ابياته - كما يقول د. عبد الله الغذامي: ((حرص على تحييد المنطق لأسباب نسقية عندما انشغل الشاعر بالجمالي وتحمس له وحرص على تبريز الجمالي بدعوى تعاليه على شروط الواقع والمنطق)) .[3]

(١) في الرؤية الشعرية المعاصرة، أحمد الصيف الجزائري منشورات وزارة الأعلام، بغداد ، دون تاريخ، ص ٨٤ شعر البحتري د. خليفة الوقيان، ٨٨
(٢) ديوانه، ج٣، ١٠٤
(٣) النقد الثقافي - قراءة في الأنساق الثقافية العربية ١٧٦

المدح

المدح في اللغة: مدح يمدح مدح ، هو الثناء والاكبار واحترام وابراز مناقب الممدوح[١]

المديح في الاصطلاح ((فن من فنون الأدب العربي يعنى بالثناء والاكبار واحترام الممدوح وإبراز مناقبه)) [٢] ، وهو ((تعبير عن اعجاب المادح بصفات مثالية ومزايا انسانية رفيعة ، يتحلى بها شخص من الأشخاص أو تتجلى في مآثر قوم أو في مآتي أمة من الأمم ... ، وأفضل مدح ما صدر عن صدق عاطفة وحقيقة واقعة))[٣] ، و((شعر المديح منذ ظهور الإسلام قد بدأ يهتم بالفضائل المعنوية أكثر من اهتمامه بالفضائل الحسية ، وقد ازداد هذا الميل إلى الناحية المعنوية مع اتساع آفاق الثقافة ، وانتشار العلوم الفلسفية وما إليها))[٤].

تعد الألفاظ في مقدمة البناء الشعري كيف لا وهي الركيزة الأساسية التي يسعى الشاعر إلى توظيفها في النص توظيفاً مناسباً وملائماً لغرضه الذي يسعى من أجله، فيمكننا تصنيف الألفاظ في القصيدة إلى المحاور التالية:

---

(١) ينظر : فن المديح وتطوره في الشعر العربي ، أحمد أبو حاقة ، دار الشؤون الجديدة ، بيروت ، ط١، ١٩٦٢: ٥-٦ والمديح فن من فنون الأدب ، سامي الدهان ، دار المعارف ، مصر ، ط٢ ، ١٩٩٨، المقدمة .

(٢) ينظر : فن المديح وتطوره في الشعر العربي ، أحمد أبو حاقة ص٩

(٣) المعجم المفصل في اللغة والأدب ، د. ميشال عاصي ، د. إميل بديع يعقوب ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ط١ ، ١٩٨٧ ، مج٢ : ص١٣٤٣ .

(٤) المصدر نفسه، ص١٣٤٥.

- المدح بالكرم: لام في الندى ـ زيد الندى ـ بذ الكرام ـ لا ترى كفاه للمال حرمة ـ فأيسر ذو عسر ـ أثار حروب المال بالبذل ـ جبان عن الإمساك ـ ومثرمن المعروف والبأس والندى ـ كفى البخلاء السائلين بجوده ـ فمت فالندى من غير زيد محرم ـ عطاؤك موفور ـ جودك موجود.

- المدح بالشجاعة: لم تر قوماً حاربوه فأدركوا نجاة ـ سل الحرب عن زيد ـ ودب لها شرب من الموت مفعم ـ صافح حد البيض بيض كماتها ـ وكان عناء الخيل فيها التحمحم ـ ذم كمتي ـ واستفز مبارز ـ أرهب مرهوب وخاطر مقدم ـ يخبرك عن زيد بحسن بلائه ظبات سيوف والوشيج المقوّم.

نلاحظ اختيار الشاعر للألفاظ الدالة على الكرم والشجاعة لم يكن اختياراً عشوائياً وإنما مدح ممدوحه بأسمى وأنبل الصفات عند العرب ولعله أستعان ببيت جرير الذي عده العرب أجود ما قيل في المدح حين قال يمدح عبد الملك بن مروان:

ألستم خير من ركب المطايا

وأندى العالمين بطون راح

ونرى أن الشاعر في مديحه بصير بمراعاة مقامات الكلام فالصفات التي يسبغ على ممدوحه يتعمد أن تكون من صفات الأشراف وعلية القوم،فيتخير الألفاظ القوية والأرفع منزلة والأعز مكانة وأصعبها مرتقى وكان ذلك واضحاً في قوله:

ولم تر قوماً حاربوه فأدركوا

نجاة ولا قوماً رجوه فأعدموا [1]

(١) ابو الفرج الاصفهاني ، الاغاني٢/٢٣٣

يعتقد أحمد البدوي « إنّ طيف البحتري مصدر يقتبس منه الشعراء بعده ». وقد أحسن البحتري في حديث عنه وأطال في تصويره وأضاف إليها كثيراً من حسّه وخياله. كما يعتقد عبد الكريم اليافيأنّ أشعاره في الطيف متعارفة ومتداولة.

لم تكن مقدمة الطيف جديدة تماماً عند البحتري أوعند غيره من الشعراء المحدثين إذ يمتد بما الزمن– مثل المقدمات السابقة – إلى الجاهلية فهي على قلتها كانت من أقدم الأشكال التقليدية من الشعراء الجاهليون المتقدمون مع هذا فإنّ الطيف على سبيل التقليد أوالتجربة يعزي الشاعر عن فقده مقابلة حبيبته نفسها [١]

يجعل البحتري طيف صاحبته ضيفاً عزيزاً معتقداً بأنّ عليه أن يكرمه. ويجيء طيف محبوبته في النوم واليقظة التي تؤدي به إلى مواجهة الواقع فيزداد حزنه ويشتدّ حنينه ولا يبقي له إلّا الأسى ويخبرنا أن طيف خيال الحبيب يسري علىّ ليلاً وهذا الخيال يقدر بأن يكشف عن ظلام الليل بطلعته وجمال وجهه ويردف قائلا أنّ جمال الحبيب كالصباح يضيء ليل العاشق. ومن ميزات هذا الخيال أنه يأتي والناس كلهم نائمون. بَعُد البحتري عن حبيبته، فإنّه – على البعد – يرسل لها التحايا والأشواق ويسعد بلقياها في عالم الأحلام ويتذكرها مع كل جميل من ملامح الحياة.[٢] فقال:

سَلامُ اللهِ كُلَّ صَبَاحِ يَوْمٍ عليكَ، وَ مَنْ يُبَلِّغ لي سَلامي؟
لقد غادَرْتَ فِي جسدي سَقَاماً بِمَا في مُقْلَتَيْكَ مِن السَّقام
وذكَّرَ نِيكَ حُسْنُ الوَرْدِ لَمّا أَتَى وَ لَذيذُ مَشروبِ المُدام
لَئِن قَلَّ التَواصُلُ أَوْ تَمَادَى بِنَا الهِجرانُ عاماً بَعْدَ عامِ
أَ أَتَّخِذُ العِراقَ هوىً وداراً ومَن أَهواهُ في أَرضِ الشآم؟

---

(١) ديوان المعاني، أبوهلال العسكري ، دون الطبعة ، القاهرة ١٣٥٢ هـ ، ٦٧.

(٢) زهرالاداب وثمر الألباب، أبوإسحاق إبراهيم بن عليّ الحصري القيرواني، دار إحياء الكتب العربية،المطبعة الرحمانية، ١٩٢٥م، ص١٩٨

نرى في هذه القصيده، أنّ البحتري يلحّ على إرسال السلام إلى حبيبته، لأنّه مبتعد عنها . فنستطيع أن نقول حبّ البحتري بحبيبته كثيرة، وهذا الحبّ يبقى في نفس الشاعر على رغم الابتعاد عنها ويعيش العاشق في الذكريات الماضية التي يتلقى في العراق ويعتقد البحتري أن ليس للعاشق الحقيقي أن يسلوالمحبوب أويمله.

تكون خصائص طيف البحتري بهذه الصورة التي «طيف علوة يُستدعى. ولا يأتي في المنام من تلقائه وهوطيف جميل ولكنه عصى، كصاحبته، مغناج، هاجر، خوان ... وهوطيف متجسد يمكن أن يخاطب، ويعاتب، ويبثّ لواعج الغرام، لكنه لا يخاطب، ولا يعاتب، ويؤثر الاستماع على الكلام، حتى ولوسمع تعنيفاً ومفاخرة وهجوا. وهوطيف أثير، لأنّه طيف حبيب أول يحرص مستدعيه على ألا يغضب فلا يعود لذا يجد الشاعر، يلوب حوله كالفراشة، دون أن يحرقه، أويحترق فيه. بل نراه يحوم كطيف معالطيف، كروح ظمأى أمام جمال سراب ... وحين يبعد الطيف أويختفى يصحو البحتري على واقع كئيب يخفف من كآبته انشغاله «بعلوات» أخريات، لكن القلب يظل يخفق باتجاه حلب ... ». [١]

يقول الآمدي في كتابه الموازنة حول تفوق البحتري على أبي تمام: «وهذا باب الفضل فيه للبحتري على أبي تمام ومازلت أسمع الشيوخ من أهل العلم بالشعر ويقولون: هوأشعر الناس وألهجهم بذكر الخيل والخيال ولم يأت عن أبي تمام فيه إلا أبيات يسيرة». [٢] ثمّ يأتي الآمدي بهذه الأبيات من أبي تمام حول الخيال:

زار الخيالُ لَها، لا، بَلْ أَزاركَهُ فِكْرٌ إذا نامَ فِكرُ الخَلْقِ لَمْ يَنَمِ

ظَبْيٌ تَقَنَّصْتُهُ لَمّا نَصَبْتُ لَهُ مِنْ آخِرِ الليل أشراكاً مِن الحُلُم

ثمّ اغْتَدى وبِنا من ذِكْرِهِ سَقَمٌ باقٍ وإنْ كانَ مَعْسُولاً مِن السَّقَم

كما نعرف أنّ أباتمام كان أستاذا للبحتري ويعلّم البحتري ولكن نرى أنّ البحتري يتفوق في طيف الخيال على كثير من الشعراء ومنهم أبي تمام ويقتبس منه

---

(١) طوق الحمامة في الألفة والألاف، ابن حزم الأندلسي، دارالمعارف بمصر، الطبعة الثانية ١٩٧٧م، ص١٢٧.

(٢) الزهرة، أبوبكر محمدبن داود الأصبهاني الظاهري، مطبعة الآباء اليسوعيين بيروت، ١٩٣٢ ، ص٥٣

الشعراء بعده؛ لأنّ الشاعرلقد استخدم طيف الخيال وألفاظه الطيف والخيال كثيراً بحيث أصبح من الميزات الشعرية الهامة والقوية في ديوانه وقلمّا يصل إليه أحد في هذا المضمار من المتقدمين والمتأخرين .

من أجمل أوصاف البحتري في الخيال المقابلة التي يقيمها الشاعر بين إصرار الحبيبة على الهجران ومخالفة طيفها لها بوصله، ثمّ نراه يعقد الصلة بين الليل وبين الوصل؛ لأنّ الطيف يزوره في الحلم وهونائم. ومن ناحية أخرى يعقد الصلة بين تباشير الفجر والنهار وبين الهجر، فلا مكان للطيف في عالم اليقظة [١] وقال البحتري:

هَجَرَتْ وطَيفُ خَيالِها لَمْ يَهْجِرُ ونَأَتْ بحَاجَةِ مُغرِمٍ لم يُقْصِر

وَدَعَتْ هَوَاكَ بِمَوعِدٍ مُتَيَسَرٍ يَوْمَ اللقاءِ ونائِل متعذِّر

مُستَهْتَرٌ بالظاعنين وفيهم صَدٌّ يُضرِّمُ لَوْعَةَ المُسْتَهْتَر

إيَسَلُ المنازِلَ عَنْهُمُ وعلى اللّوي | دِمَن دَوَارِسُ إنْ تُسَلْ لا تُخْبر |

يقول أبوعبادة في مقدمة مدحة في أبي نهشل بن حميد: [٢]

دَعْ دُمُوعي في ذَلِكَ الإشْتياق تَتَنَاجَي بِقُبْحِ يَوْمِ الفِراقِ

فَعَسَي الدَّمْعُ أَنْ يُسكِّنَ بِالْسَّكْ بِ غَليلاً مِن هائِمٍ مُشْتَاقِ

إنّ رَيّاً لَمْ تَسْقِ رَيّاً مِنَ الوصـ لِ ،ولم تدْرِمَا جَوى العُشّاقِ

بَعَثَتْ طَيْفَهَا إلى ودُوني وَخْدُ شَهْرَيْنِ للمَهَاري العِتَاقِ

زارَ وَهْناً مِن الشّامِ فَحَيَّا مُستَهَاماً صَبَا بِأغلَي العِراقِ

يرق البحتري كل الرقة حين يعبر عن الطيف الذي يصله مع هجر صاحبته له في الواقع بأنّها تزوره وهي لا تدري، وذلك اللقاء الذي يتمّ على أجنحة الأحلام تعبيراً عن جوى الشاعر وحرمانه.

---

(١) طيف الخيال،الشريف المرتضى، تحقيق حسن كامل الصيرفي، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهره، ٢٠٠٨م، ص٤٣.

(٢) الطيف والخيال في الشعر العربي القديم، حسن البنا عزالدين، دار المناهل، بيروت – لبنان، الطبعة الثالثة ، ١٤١٥ هـ – ١٩٩٤م، ص٢٨

المبحث الثاني

التجديد المضموني في قصائد المدح والوصف للبحتري

الشعر فن اللغة، أو بعبارة فاليري المكثفة "لغة داخل اللغة"[١] واللغة هي المادة الأولية للأدب، وهي للشاعر بمثابة الألوان للرسام، أو الرخام للنحات، بل إنها ولاشك أقرب إلى الشعر من تلك المواد الأولية لموضوع فنونها؛ وذلك لأن الفكرة أو الإحساس لا يعدان موجودين حتى يسكنا إلى اللفظ، ولهذا كثيراً ما تكون المشقة في إخضاع الفكرة أو الإحساس للفظ .. "وكثيراً ما يكون الخلق الفني مستقراً في العبارة ذاتها بإذ إنك لو أعدت التعبير عن الفكرة أو الاحساس لانتهيت إلى شي مغاير للخلق الفني الأول".[٢]

واللغة من إذ كونها أداة تعبير "هي كائن له كيانه وله خصائصه الفنية وفلسفته التي يعيش بها في أي مجتمع منفعلاً ومتفاعلاً معه"[٣] فاللغة أقرب الأدلة لاستقصاء ملامح أي مجتمع، ولا يمكن الفصل بين اللغة ومقوماتها؛ لأن ذلك يفقدها روحها وحياتها، ولا يتأتى لمفكر أن يفصم عرى الوحدة القائمة بين الفكر والتعبير اللغوي[٤].

وإذا كان الأديب أو الشاعر في تعامله مع اللغة "يقوم بعملتين هما الجمع والتوزيع أي انتقاء الكلمات واختيارها ثم ترتيبها وتنسيقها في العبارة" فإن حسن اختيار الكلمة الموحية بطاقتها وجرسها ومعناها يعد أول خطوة في البناء الفني[٥].

وتتطور اللغة لدى الشاعر لتأخذ شكلاً جديداً بما يخلع على ألفاظها من دلالات ومعان جديدة لم تكن لها من قبل وذلك بتوسعه في المجازات، والاستعارات، والتشبيهات . وقد فطن لذلك عبد القاهر الجرجاني عندما تحدث عن المعنى، ومعنى المعنى فقال: "نعنى (بالمعنى): المفهوم من ظاهر اللفظ والذي تصل إليه بغير واسطة، و (بمعنى المعنى): أن تعقل من اللفظ أشياء بطريق المجاز والاستعارة تفضي بك إلى معنى أخر.."[٦].

---

[١] جان كوهن، بنية اللغة الشعرية،دار الاعلمي ، لبنان ، ١٩٩٠ ، ١٢٩ .

[٢] ينظر: محمد مندور، في الأدب والنقد،دار الفرات والنيل ، مصر ، ١٩٩٨، ٢٢ .

[٣] محمد الصادق عفيفي، النقد التطبيقي والموازنات،دار التضامن ، الاردن ، ٢٠٠٠، ١٧٥ .

[٤] المصدر نفسه، ١٧٥ .

[٥] محمد مندور، في الأدب والنقد ، ٢٥ .

[٦] المصدر نفسه ص٢٦.

وتشكيل هذه اللغة الجديدة متأتٍ من أن الشاعر حين يتناول الألفاظ يبدأ بنسجها وتشكيلها تشكيلاً مساوياً لتجربته الانفعالية ليخلق مخلوقا جديداً له سمات خاصة تحمل سمات البنية التركيبية لخالقها.[١]

وبعبارة أخرى إن اللغة الشعرية كما يصفها بعضهم – "هي موت اللغة وابتعاثها على يد الشاعر الذي يخلق طينتها"[٢].

ولكن هل المقصود بموت اللغة استبدالها بلغة مخترعة ؟ الحقيقة ليس المقصود ذلك، وإنما يقصدُ توظيف اللغة في الشعر على نحو خاص، وتأتي الخصوصية اللغوية للشعر من البناء والتركيب الشكلي للألفاظ ومن "العلاقات التي يقيمها الشاعر بين الدال والمدلول من جهة وبين المدلولات من جهة اخرى".[٣] فتخرج الألفاظ من دلالاتها المعجمية إلى دلالاتها الإيحائية التأثيرية الجمالية.

ولهذا فلا غرو أن يكون الشعر هو ديوان العرب ومادة حياتهم وأصل الوسائل التي بها تنقل تجربتهم وترف طبيعتهم وهم لذلك أقرب الشعوب إلى الشعر والشعر المتميز ، وإننا في هذا العصر إذ نقول هذا فإننا لا ننكر دور الأشكال الأدبية الأخرى من مقالة وقصة ومسرحية ورواية وغيرها من الآليات التي تظهر عليها هذه الأجناس لأن كل أدب هو ديوان تلك الفترة ، والتي عبر عنها الأديب القريب من مجتمعه .

لا يخفى على كل باحث قوة العصر العباسي من جميع النواحي وخاصة الفكرية منها والأدبية فلقد كانت قمة في الأداء وقمة في العطاء وإننا إذ نذكر ذلك فإننا نتشرف بأن من أولئك هم أجدادنا ، وإننا في هذه الورقات القليلة سنتناول شاعرا مهما من شعراء ذلك العصر له من جميل المعاني وروعة الأسلوب ما يعرف العارف إنه أبو عبادة الوليد بن عبيد الطائي المولود بالشام والمتوفى بها عن عمر يناهز الثمانين عام ٢٨٤هـ

إن من المحال أن يربط البحتري وصفه بشيء لا علاقة له ألبته في مشاعره ومقاصده ولعل البركة لما كانت للمتوكل وطاب وصفها وكثر خيرها وتدفقت عطاياها كان لهذا أكبر التأثير في مشاعر البحتري لتساندها في مهمة توصيل المقاصد النفسية ،

---

[١] ينظر: عبد الكريم راضي جعفر، رماد الشعر دراسة في البنية الموضوعية والفنية للشعر الوجداني الحديث في العراق،دار الفكر ، بيروت ، ٢٠٠٧، ١٢٤ .

[٢] المصدر نفسه، ١٢٤ .

[٣] كلوهن ، مصدر سابق ، ١٩١ .

والبحتري شاعر معروف بكثرة ماله وطول عقاره لما يجد من مدحه للخلفاء، كله بديع المعنى حسن الديباجة صقيل اللفظ، سلس الأسلوب كأنه سيل ينحدر إلى الأسماع مجوداً في كل غرض سوى الهجاء ولذلك اعتبره كثير من أهل الأدب هو الشاعر الحقيقي واعتبروا أمثال أبي تمام والمتنبي والمعري حكماء، ولسهولة شعره ورقته كان أكثر الأصوات التي يتغنى بها في زمنه من شعره المطبوع في ديوان حافل. [1].ومن قوله يمدح الخليفة المتوكل ويصف موكب خروجه لصلاة عيد الفطر وخطبته في الناس:

بالبرِّ صمتَ وأنتَ أفضل صائم

وبسنَّة الله الرَّضيَّة تفطر

فانعمْ بيوم الفطر عيدا إنهُ

يوم أغرُّ من الزمان مشهَّرُ

أظهرتَ عز الملك فيه بجحفل

لجبٍ يحاطُ الدّينُ فيه وينصرُ

خلنا الجبالَ تسير فيه وقد غدتْ

عدداً يسير بها العديدُ الأكثرُ

يكاد يكون خالصاً للحب والوجدان، بل للقهر والحرمان، فهو يعبر عن حب محروم، ويصدر عن رؤية متشائمة، ونظرة حزينة، وروح مكتئبة، فالأمل غائب، واليأس حاضر، والدموع تنهل غزيرة، والحرمان هو السائد، والشقاء هو المسيطر، ولا سيما شقاء المرأة، وهو يراها دائماً طهوراً نقية، على الرغم مما قد يحيط بها من شقاء، أو على الرغم مما تعيش فيه من انحدار وسقوط، ذلك أنها نقية الروح، وإن كانت ملوثة الجسد.

وقد يدفع التعصب للبحتري الى ان ينفي عن البحتري ذلك النقص والعوز الثقافي العصري المتمثل بمعرفة الفلسفة والمنطق وعلم الكلام حين قال:((ولو اردنا اعتساف القول لوجدنا في شعره قدرا لاباس به من الفاظ الفلاسفة والمناطقة، الامر الذي يمكن ان يتخذ دليلا على المامه بالفلسفة والمنطق، ومن ذلك قوله:

فالخيلُ تصهلُ والفوارسُ تدّعي

---

[1] عبد الكريم راضي جعفر، مصدر سابق ، ١٢٤ .

والبيض تلمع والأسنّةُ تزهرُ

والأرضُ خاشعةٌ تميد بثقلها

والجوُّ معتكرُ الجوانب أغبرُ

والشمس طالعة توقّدُ في الضحى

طوراً ويطفئها العجاجُ الأكدرُ

حتى طلعتَ بضوء وجهك فانجلى

ذاك الدُّجى وإنجاب ذاك العثيرُ

فهو يذكر الحادث والقديم والحركة والسكون، وامتزاج الروح بالبدن...))[١].

ان ذكر الألفاظ الدالة على الفلسفة والمنطق ومعرفة المصطلحات الخاصة بهما لا تجعل من الشاعر عارفا بتوظيفها في تجديد المعاني واستحضارها، فالعلم بالشيء لا يعني ان الشاعر متمكن منه في استعماله وتوظيفه والافادة منه، وهناك امران يدلان على ان البحتري لم يستعمل الفلسفة و المنطق في شعره، اولهما ان الشاعر قد اعترف صراحة عندما قال ابياته المعروفة:[٢]

فلوَ أن مشتاقاً تكلّف فوق ما

في وسعه لسعى إليك المنبرُ

أبديتَ من فصل الخطاب بحكمة

تنبي عن الحق المبين وتخبرُ

ووقفتَ في براد النبيّ مذكّراً

بالله تنذر تارة وتبشّرُ

فالبحتري في ابياته حرص على تحييد المنطق لأسباب نسقية عندما انشغل الشاعر بالجمالي وتحمس له وحرص على تبريز الجمالي بدعوى تعاليه على شروط الواقع والمنطق [٢]

إذا كان البحتري قد اخذ اشياء من استاذه ابي تمام فان ابن الرومي قد تاثر تاثرا كبيرا بابي تمام على الرغم من ان ابن الرومي لم يعاصره، فهو حريص على احتذاء طريقة ابي تمام في البديع وفي بناء قصيدة المدح فضلا عن الغوص على المعاني الغامضة

---

(١)أحمد نصيف الجزائري ،في الرؤية الشعرية المعاصرة، منشورات وزارة الأعلام، بغداد ،دون تاريخ، ص٨٤.

(٢)د. خليفة الوقيان، شعر البحتري، دار السعادة ، الاردن ،٢٠٠٠ ٨٨.

واستقصائها من الجوانب كافة، والشبه بين الاثنين اكثر من الاختلاف، فهو التلميذ الحقيقي لابي تمام وهو الذي تزعم ريادة الاتجاه المحدث وقاد الحرب ضد البحتري، وهذا ما اكده ابن رشيق القيرواني بصورة غير مباشرة عندما قال:((والذي أراه ان ابن الرومي ابصر بحبيب وغيره منا، وان التسليم له والرجوع إليه احزم)) وقد تابع د. طه حسين القيرواني في رايه الذي يؤكد العلاقة بين ابي تمام وابن الرومي عندما قال:((ان ابن الرومي يخالف غيره من الشعراء الذين عاصروه أو جاءوا قبله، الا واحدا هو ابو تمام، وذلك ان طبيعة ابي تمام الشعرية ، يقول :

فافتنّ فيك الناظرون فإصبعٌ

يوماً إليك بها وعينٌ تنظرُ

يجدون رؤيتك التي فازوا بها

من أنعمِ الله الَّتي لا تكفرُ

ذكروا بطلعتك النبيّ فهلّلوا

لما طلعتَ من الصفوف وكبّروا

حتى انتهيتَ إلى المصلّى لابساً

نورَ الهدى يبدو عليكَ ويظهرُ

ومشيتَ مشية خاشع متواضعِ

لله لا يزهى ولا يتكبَّرُ[١].

ومن الخصال المرتبطة بصفة الإقدام والشجاعة، صفة الهيبة، ونقصد ما كان اساسا عندما يلاقون المتوكل من مهابة ورهبة، ومن انقباض ووحشة، هذه الهيبة التي استوطنت القلب أفقدته صوابه وعقله فهي صورة صادقة لما كان يلاقون أو ينظرون إليه، ولكن ماذا عقب ذلك؟ فعندما شرع الشاعر بقصيدته وهو يتأمل وينظر جبينه إلى طلاقة وجهه ظهرت خيوط الهيبة جلية عند كافة الحاضرين وبخاصة الشاعر.

---

[١]ديوان البحتري ،دار العلم ، لبنان ، ١٩٩٣، ص٦٧.

بالعاشق المغرم. ولكن العاشق لا يهتمّ بعدم رغبة المعشوق به والعاشق عالم بأنّ خياله غير واقعي ولكن يستمتع به وتكون لذة هذا اللقاء مثل اللقاء الواقعي. يبكي العاشق دائماً على المحبوب والزمان الذي بعد عنه أيضاً يحزن ويبكي وخيال العاشق يبذل في النوم ولم يعطِ في اليقظة. وإنّ النعيم والمنفعة في النوم مع طيف الخيال كما أنّ الشقاء والمضرة في اليقظه مع هجر الحبيب وصدوده. فقال[١]

مِنْكَ طَيْفٌ أَلَمَّ والأُفْقُ مَلآ نُ مِن الفَجْرِ واعتَراضِ عَمُودِهْ

زَائرٌ أشْرَفَتْ لِزَوْرَتِهِ أغـ| وَارُ أرضِ العراقِ بَعدَ نُجودِهْ|

|أ رَبُ النفسِ كلُّهُ وَ مَتاعُ الـ | عَينِ في خَدِّه ، وفي تَوْرِيدِهْ|

|مُعْطِياً من وصالِهِ في كَرَى النَوْ | مِ الذي كان مانعاً في صدودِهْ |

قال ابن أبي العون الأنباري في كتابه التشبيهات «ومن حسن التشبيه في طروق الخيال قول البحتري» [٢٥] . فقال: [٢٦]

أَجِدَّكَ ما يَتْفَكُّ يَسْري لِزَيْنَبا خَيَالٌ إذا آبَ الظَلامُ تَأَوَّبا

سَرى مِن أعالِى الشآم يَجْلُبُهُ الكري هُبُوبَ نَسيمِ الرَّوضِ تَجْلُبُهُ الصّبا

وما زَارَني إلّا وَلهتُ صَبَابَةً إليه وإلّا قُلْتُ أهلاً ومَرَحبا

وأيضاً قال: [٢]

حَبِيبٌ سَرَى في خُفْيَة وعلى ذُعْرِ يَجُوبُ الدُّجَي حتى اِلتَقَيْنَا على قَدْرِ

تَشكَّكْتُ فيه من سُرورٍ ، وخِلْقُهُ خَيالاً أَتَي في النومِ مِن طَيْفِهِ يَسْري

وأَفْرَطْتُ مِنْ وَجْدٍ بهِ فَدَري بِنا عَلى ساعَةِ اللُّقيانِ مِن لَم يكُن يَدْري

وما الحبُّ ما وَرَّيْتَ عَنْهُ تَسَتُّراً وَلكنّهُ ما مِلْتَ فيه إلى الهَجْرِ

أتَى مُسْتَجيراً بي مِنَ البَيْنِ تائباً إليَّ مِنَ الصَّدِّ الذي كانَ في الهَجْرِ

يصل خيال المحبوب دون هادٍ من طرق صعبة عند الليل ويهرب البحتري من طلوع الفجر لأجل ابتعاده عن حبيبته ،لأنّ الشاعر يعتقد أن طلوع الفجر يكون

---

(١) طيف الخيال،الشريف المرتضى، تحقيق حسن كامل الصيرفي، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهره، ٢٠٠٨م، ص٤٥.

(٢) المصدر نفسه، ص٤٦.

عامل للبعد عنه فنستطيع أن نقول طيف البحتري سرى ليلا من مسافة بعيدة عندما جاء الليل وكل المكان هادىء. وميزة أخرى لطيف الخيال عند البحتري وهوأنّه يفي بعهده ولا ينكث الميثاق خلافاً للمعشوق الذي ينقض العهد بفراقه وهجرانه ورغم أنّ المحبوب بخيلٌ في الحبّ يشعر الشاعر بالراحة والارتياح ؛ لأنّ خيال المعشوق وفيّ ولا ينقض العهد مثله(١).

قال الآمدي من قول أبي على محمد بن العلاء السجستانيّ: « إنّه كان إذا شرب وسكر أنشد مثل هذه الأبيات وأشباهها من شعره. وقال: ألا تسمعون ألا تعجبون!؟» فقال:

أَحْبِبْ إلى بطَيْفِ سُعدى الآتي وطُرُوقِهِ في أعْجب الأوقاتِ
أَنّي اهْتَدَيْتَ لِمُحْرمينَ تَصَوَّبُوا لِسُفُوحِ مَكَّةَ مِن رُبَى عَرَفاتِ
ذَكَّرْتَنَا عَهْدَ الشآمِ وعَيْشَنا بَيْنَ القِباب البيضِ والهَضَباتِ
إذْ أَنْتَ شَكْلُ مُخالِفٍ ومُوافقٍ والدهرُ فيكَ مُمانِعٌ ومُوأَتِ
لولا مُكاثَرَةُ الخُطُوبِ ونَحْتُها مِن جانِبَيَّ لَكُنتَ مِن حَاحاتِي

فقال: (٢)

بِعَيْنَك إعْوِالى وطولُ شَهِيقي وإخفاقُ عَيْني من كرىً وخفوقِ
على أنّ تَهْويماً إذا عارَضَ اطْبَي سُرَى طارِقٍ في غَيرِ وَقْتِ طَرُوقِ
سَرى جائِباً لِلْخَرقِ يَخْشَي ولَمْ يَكُنْ مَلِيّاً بإسراءٍ وَجَوْبِ خَروقِ
فباتَ يُعاطِيني على رقْبَةِ العِدَى وَ يَمْزُجُ رِيقاً مِن جَنَاهُ بِرِيقي

في الحقيقة، إن البحتري يعتقد أنّ السعادة الحقيقية تحصل لها في المنام؛ لإنّه يتمتع بحظّه لزيارة الحبيبة ويعتقد عكس ذلك، أنّه يصاب بالشقاء والحزن في عالم اليقظة ولهذا السبب نرى الشاعرأنه يحبّذ عالم الخيال والرؤيا على عالم اليقظة والوعى. وهويرى في عالم اليقظة والوعى الفراق والهجر والشقاء والألم ويرى

---

(١) تاريخ آداب العرب، مصطفي صادق الرافعي، ص ١١٧ .

(٢) بين الإيوان والبركة، خليل شرف‌الدين، ص ١٤٤.

في عالم الأحلام ، الوصال، اللذة والسعادة. واللقاء الذي يصل العاشق في عالم الخيال والأحلام يكون من غير وعد واللذة التي لم تتصور ولم تحتسب في الذهن والانتفاع به أكثر من الانتفاع اللقاء الواقعي. يقول البحتري يلومني اللائمون على حبي بعلوة ولكن ليس لي مهم هذا اللوم من جانب اللائمين ونحن نستطيع أن نقول حب البحتري بعلوة كثيرة وصادقة. فقال:

خَيَالُ مَأْوِيَّةَ المُطيفُ أرَّقَ عَيْناً لها وكيفَ

أكثر لَوْمي على هواها رَكْبٌ على دِمْنَةٍ وُقوفَ

أتى البحتري حول خيال علوة بهذه الأبيات التي إنّ الوصف يقصر عن بلاغة هذه الأبيات وبراعتها وسلامتها . وقال الآمدي: «وهذا – والله – الكلام العربيّ، والمذهب الذي يبعد على غيره أن يأتي بمثله». وقال:

أخَيَالُ عَلْوَةَ كيفَ زُرتَ وعِنْدَنا أَرقٌّ يُشرَّدُ بالخَيَالِ الزائِرِ

طيفٌ أَلَمَّ بنا ونَحْنُ بمُهْمَهٍ قَفرٍ يَشُقُّ على المُلِمِّ الخاطر

أفْضَى إلى شُعْثٍ تُطِيرُ كَرَاهُمُ رَوْحاتُ قُودٍ كالقسِيّ ضَوَامِر

حَتى إذا نَزَعُوا الدُّجى وتَسَرْبَلُوا مِنْ فضْلِ هَلْهَلَةِ الصَبَاحِ الغائر

وَرَمَوا إلى شُعَبِ الرِّحالِ بِأعْيُنٍ يَكْسِرْنَ مِن نَظَرِ النُّعاسِ الفاتِر

أهوى فَأَسْعَفَ بالتَحِيَّة خِلْسَةً والشمسُ تَلْمَعُ في جَناحِ الطائر

سِرْنا وأنتِ مقيمةٌ ولَرُبّما كانَ المُقيمُ علاقةً للسائر

ابتعد الشاعر عن حبيبته وشعر قلبه ونفسه باليأس. فالحبيب مجانب بخيل، والطيف وصول كريم، والحبيب نائى الدار وهومن فراق اتخذ سبيلاً للقاء وتصل إلى الحبيبة في عالم الخيال، والليل والنوم عاملان أساسيان للوصول والصبح واليقظة عاملان للفراق. واعتقد البحتري كما أنّ المعشوق يفرح بخيال العاشق نرى أنّ العاشق يبتهج بخيال المعشوق أيضاً. ويتمتع كل منهما بخيال الآخر وكذلك اعتقد البحتري أنه مع حبيبه عند النوم فرحانَ ونستفيد معاً من مباهج الحياة واليقظة لنا عذابٌ.[1]

---

(١) تاريخ آداب العرب، مصطفي صادق الرافعي، ص١١٨.

إذ إن دراسة الأدب ينبغي أن تتبع من الأدب نفسه لا من خارجه ، وهنا لا بد لنا ان نوضح ما اخترناه دليلا اي شيء كامن في النفس وكل إناء بما فيه ينضح ، وهذا ما تطرق له البحتري في وصف موكب المتوكل في قصيدة قال فيها :

أظهرت عز الملك فيه بجحفل لجب يماط الدين فيه وينصر

ووصف القصر المعروف بالكامل الذي بناه الخليفة المعتز بالله أبي المتوكل وقال:

ذكر الحمام وقد ترنم فوقه من منظر (...) المزلة هائل

فهو وصاف مجيد ، ولكن الأمر لا يقف عند هذا الحد ، وإنما يقف عند علاقة البحتري بكل وصف يقوله .

وهذا ما يتجلى في مدح المتوكل على حد قول البحتري عندما قال :"مقوما لفضي، غير مرسل نفسي، فقال الفتح، وكان والله ما علمت، قوي الآداب، حسن المعرفة بالشعر ليس بك حاجة في مدح امير المؤمنين الى مثل هذا، لين كلامه حتى يفهم، فأنه يلذ ما يفهم. فعلمت انه نصحني.

الخاتمة:

لقد أمدنا العصر العباسي بشعراء عظام يقف في مقدمتهم أبو تمام والبحتري وابن الرومي والمتنبي، واستطاع هؤلاء أن ينفثوا بأبياتهم عصارة التجربة وواقع البيئة ومسحة التأثر بالثقافات المختلفة، .

والوصف هو فن قديم قدم وقوع عين الإنسان على المرئيات، في محاولة منه لمحاكاة الطبيعة، ليعبر عن إحساسه وكل ما يجول في ذهنه، فالوصف يلازم (طبيعة النفس البشرية، خاصة في طور البداوة حيث تستبد بها نزعة التقليد. وقد عرف العرب الوصف وتناولوه في شعرهم، فهو عندهم (ذكر الشيء بما فيه من الأحوال والهيئات) من أجل ذلك أرجعوا أغلب الأغراض الشعرية إلى فن الوصف، فـ (الشعر إلا أقله راجع إلى باب الوصف، ولا سبيل إلى حصره واستقصائه)، وان البحتري شاعر بكى الحب ورثاه، وكتب أرق القصائد وأكثرها حزناً وعذوبة، عبر عن مرحلة، قوامها الحزن والحب المحروم والصبر والوفاء، وهدفها التجديد، وقد جدد في شعره، وجاء شعره تعبيراً صادقاً عن وجدانه، مصوراً لشخصيته وحياته، وفياً لأهوائه وآرائه في الحياة والشعر، ولعله كان بهذا الشعر يعالج أدواء روحه، بينما كان بالأدوية والعلاج يداوي أدواء المرضى، وهو الطبيب المعالج.

وكانت شخصية البحتري شخصية ضخمة من الأدب والشعر في العصر العباسي ولا يسعنا أن نقول إلا أن هذا البحث كشف لنا بعض الأشياء البسيطة للشعراء العظام الذين يحتلون الريادة في الشعر العباسي وفي مقدمتهم البحتري ومن أهم الصعوبات التي واجهتني أثناء عملي لهذا التقرير صعوبة اختيار المصادر والمراجع وأوصي بنشر جميع قصائد البحتري وان تزود المكاتب بكتب البحتري.

المصادر

١- أبن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي (ت ٥٩٧ هـ/ ١٢٠٠م)، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، مطبعة دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الدكن، د.ت ، ص١٢٣.

٢- أساس البلاغة ، جار الله محمود الزمخشري (ت ٥٣٨هـ) مطبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب ، الطبعة الثانية (١٤٠٥هـ ، ١٩٨٥م) .

٣- ابن سعد، محمد بن سعيد بن منيع الزهري ٢٣٠هـ/ ٨٤٥م ، الطبقات الكبرى، دار صادر، بيروت ، ص ٢٨٤ .

٤- أبن منظور ـ لسان العرب، طبعة دار المعارف، مصر، ج١، ص٥٦٢ ـ ٥٦٣.

٥- ابن رشيق، أبو علي الحسن القيرواني (ت ٤٥٦هـ / ١٠٦٤م)، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ط٤ ، دار ،الجيل بيروت، ١٩٧٢، ص ٣١٧

٦- الأسلوب ، دراسة بلاغية تحليلية لأصول الأساليب الأدبية ، احمد الشايب ، مكتبة النهضة المصرية ، الطبعة السابعة ١٩٧٦م.

٧- برهان غليون، الاجتهاد والتجديد في الفكر الإسلامي المعاصر، مصدر سابق، ص٧٤.

٨- بناء الرواية ، دراسة مقارنة ، لثلاثية نجيب محفوظ ، د. سيزا قاسم، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٤م.

٩- الترغيب والترهيب في القرآن الكريم ، دراسة بلاغية ، موسى سلوم الربيعي ، رسالة ماجستير اداب المستنصرية ، ١٩٩٨م.

١٠-تاريخ الأدب العربي في العصر الجاهلي ، السباعي بيومي ، مكتبة الانجلو المصرية ، الطبعة الثانية ١٩٥٩م / ١.

١١-التفسير الكبير ومفاتيح الغيب ، الإمام الفخر الرازي ، المطبعة البهية المصرية ، الطبعة الأولى ١٩٣٨م، ٢٠ : ١٣٢.

١٢-التعريفات ، السيد الشريف الجرجاني (ت ٧٤٠، ٨١٦هـ) مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده ، مصر/ ١٩٣٨.

١٣-تاج العروس من جواهر القاموس ، السيد محمد مرتضى الزبيدي (ت ١٢٠٥هـ) تحقيق –علي الهلالي

١٤-الجمحي، محمد بن سلام(ت ٢٣١ هـ/ ٨٤٤م)، طبقات فحول الشعراء، شرح محمود محمد شاكر، القاهرة، د.ت، ص٢٤٤.

١٥-جمهرة اللغة ، ابن دريد (ت ٣٢١هـ) ، تحقيق وتقديم ، د، رمزي بعلبكي ، دار العلم للملايين ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى ١٩٨٧.

١٦-جوهر الكنز ، تلخيص كنز البراعة في أدوات ذوي البراعة ، نجم الدين احمد بن اسماعيل بن الأثير الحلبي (ت ٧٣٧هـ) تحقيق د. محمد زغلول سلام، منشأة المعارف ، الإسكندرية، مصر.
١٧-حاشية الصبان على شرح الاشموني.
١٨-حديث الأربعاء ، طه حسين ، دار المعارف، القاهرة، مصر، الطبعة الثالثة عشرة، ١٩٨٢م.
١٩-حسن الترابي، الفكر الإسلامي، هل يتجدد؟ ، مكتبة الجديد، تونس، ص٢٣..
٢٠-شعر البحتري، د. خليفة الوقيان،.
٢١-العين ، الخليل أبو عبد الرحمن الفراهيدي (ت ١٧٥هـ) تحقيق د. مهدي المخزومي، د. ابراهيم السامرائي. دار الرشيد، بغداد ، العراق (١٤٠٢هـ، ١٩٨٢م)
٢٢-العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده ، أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني (ت ٤٥٦هـ) تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، دار الجيل ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الرابعة ١٩٧٢م.
٢٣-علي شريعتي، الأمة والإمامة، مؤسسة الكتاب الثقافية، طهران، ص٩.
٢٤-فن الوصف وتطوره في الشعر العربي ، إيليا حاوي ، دار الشرق الجديد ، الطبعة الأولى ١٩٥٩م
٢٥-في الرؤية الشعرية المعاصرة، أحمد نصيف الجزائري ،منشورات وزارة الأعلام، بغداد ،دون تاريخ.
٢٦-الكليات ، معجم في المصطلحات والفروق اللغوية ، أبو البقاء الحسيني الكفوي (ت ١٠٩٤هـ ، ١٦٨٣م) قابله على نسخة خطية وأعده للطبع ووضع فهارسه د. عدنان درويش ، محمد المصري. دار الكتب الثقافية ، دمشق ١٩٧٦.
٢٧-الكليات ، معجم في المصطلحات والفروق اللغوية ، أبو البقاء الحسيني الكفوي (ت ١٠٩٤هـ ، ١٦٨٣م) قابله على نسخة خطية وأعده للطبع ووضع فهارسه د. عدنان درويش ، محمد المصري. دار الكتب الثقافية ، دمشق ١٩٧٦.
٢٨-الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، جار الله محمود الزمخشري (ت ٥٢٨هـ) ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان ١٩٤٧م.
٢٩-كتاب الصناعتين ، الكتابة والشعر ، أبو هلال الحسن العسكري (ت ٣٩٥هـ) ، تحقيق علي محمد البجاوي ، محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار الفكر العربي ، الطبعة الثانية ١٩٧١م .
٣٠-لسان العرب المحيط ، ابن منظور محمد بن مكرم (ت ٧١١هـ) طبعة مصورة عن بولاق ، المؤسسة المصرية للتأليف والأنباء والنشر ، الدار المصرية للتأليف والترجمة.
٣١-محمد تقي المدرسي، المنطق الإسلامي، أصوله ومناهجه، دار الجبل، بيروت، ط٢، ١٩٨١م.
٣٢-مقاييس اللغة ، أبو الحسين أحمد بن فارس (ت ٣٩٥هـ) تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الفكر ١٩٧٩م. .
٣٣-منهاج البلغاء وسراج الأدباء ، أبو الحسن حازم القرطاجني (ت ٦٨٤هـ) تقديم وتحقيق ، محمد الحبيب ابن الخوجه ، تونس ١٩٦٦م .
٣٤-معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب ، مجدي وهبة، كامل المهندس ، مكتبة لبنان ١٩٧٩ .
٣٥-المفردات في غريب القرآن ، أبو القاسم الحسين بن محمد الراغب الأصفهاني (ت ٥٠٢هـ) تحقيق ، محمد سيد كيلاني ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان

٣٦-المعجم الفلسفي ، د. جميل صليبا ، الشركة العالمية للكتاب ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، لبنان ١٩٨٢.

٣٧-نقد الشعر ، أبو الفرج قدامة بن جعفر (ت ٣٣٧هـ) ، تحقيق كمال مصطفى ، الطبعة الثالثة ١٩٧٨م ، مكتبة الخانجي ، القاهرة

٣٨-الوصف في الشعر العراقي في القرنين الثالث والرابع الهجريين ، د. جميل سعيد، مطبعة الهلال ، بغداد / الطبعة الأولى ١٩٤٨م. .

٣٩-الوصف في الشعر العربي ، عبد العظيم قناوي ، مطبعه ، مصطفى البابي الحلبي ، مصر الطبعة الاولى ١٩٤٩م.